فنون العصر الشبيه بالتاريخي (3500 ق. م – 2800 ق. م)

(فن صناعة الأختام – تزيين الفخار – فن الرسوم الجدارية)

فن صناعة الأختام

يعتبر فن صناعة الأختام من ابتكارات العصر الشبيه بالتاريخي، واستمرت صناعتها في الفترات اللاحقة. ومن الخواص الفنية لأختام هذا العصر، هو أنها كانت معمولة من أحجار هشة وصلبة متنوعة الألوان. وكانت سطوحها تصقل بعناية واهتمام لتصوير المشاهد عليها، كما أن مشاهدها كانت تنحت بدقة وتحفر حفراً عميقاً من قبل الفنان، فتبدو وحدات المشاهد واضحة المعالم عند طبعها على الطين، وهناك طراز خاص من أختام هذا العصر يتميز بمشاهد هندسية منحوتة نحتاً بسيطاً يصعب معرفة مضامينها. وقد ظهرت في مستوطن حميدة نصر بشكل خاص. وأهم المواضيع التي نقشت على أختام هذا العصر هي:

1. مشاهد تقديم الهدايا من قبل البشر للآلهة في المناسبات الدينية المختلفة.
2. مشاهد تمثل صراع حيوانات اسطورية مع بعضها غالباً ما تكون لها علاقة قوية بالأساطير الدينية.
3. مشاهد حربية الطابع تتعلق أحداثها بالمعارك التي حدثت بين دويلات المدن المنتشرة في جميع أجزاء البلاد.
4. مشاهد صيد تمثل مطاردة الإنسان للحيوانات كالغزلان في سبيل اصطيادها.

لقد كان فنان الأختام الاسطوانية في هذا العصر صادقاً في تمييزه الفني، فقد نقل أحداث مجتمعه وفعالياته وحوادثه نقلا صادقاً، وصور طقوسه الدينية تصويراً جيداً.

صناعة وتزيين الفخار:

ظهرت صناعة الفخار كما ذكرنا في العصر الحجري الحديث، واستمرت صناعتها في هذا العصر والعصور اللاحقة، فقد أبدع خزاف هذا العصر بصناعة الفخار وأنتج أعمالاً تعتبر من الروائع الفنية. وعملت فخاريات هذا العصر باستخدام الدولاب الفخاري السريع الدوران

(عجلة الدوران). وقد ظهرت عدة طرز أو صناعات فخارية في هذا العصر أهمها:

1. فخاريات غير ملونة ذات صناعة خشنة، تكون معمولة من طينة غير نقية، ومطلية بطلاء ذي لون أجاصي، يرجح أنها كانت تستخدم للاستعمالات اليومية.
2. فخاريات ملونة معمولة من طينة نقية وذات سطوح ناعمة الملمس مطلية بطلاء ناعم مائل للإحمرار ومدلوكة دلكاً جيدا. وزخارفها تكون بلون واحد أو لونين أو ثلاثة ألوان على نفس الإناء هي الأسود والبني والأحمر في أغلب الأحيان ومواضيعها تكون هندسية الطراز، وترسم على أكتاف الآنية في أغلب الأحيان، وكان لهذه الفخاريات استعمالات خاصة. إن أغلب زخارف الآنية الملونة تكون هندسية كأشكال الخطوط والأشكال الهندسية كالمثلثات والمعينات. فقد اختفت تلك المشاهد الطبيعية التي كانت سائدة في فخاريات العصر السابق، ولم تعد سطوح الفخاريات مناسبة لتصوير فعاليات الحياة أو تفكير الإنسان بسبب ظهور النحت البارز على الحجر والرسم الجداري واستخدامها في تمثيل مختلف المواضيع الحياتية والدينية.
3. ابتكر خزاف العصر الشبيه بالتاريخي أساليب متنوعة في تزيين الفخاريات، فبعض فخاريات هذا العصر كانت تزين بتطعيم سطوحها الخارجية بأحجار متنوعة الألوان بشكل تصاميم هندسية جميلة. وهناك نماذج من آنية الفخار يرجح كثيرا أنه لها استعمالات طقوسية خاصة في المعابد، كانت تزين بإضافة أشكال حيوانية أو نباتية على سطوحها كالأسود والثيران وكانت تعمل بأسلوب النحت المجسم أو النحت البارز. ففي حالة عملها بأسلوب النحت المجسم كانت تلصق أو تضاف على سطح الإناء عندما يكون رطبا، وفي حالة عملها بإسلوب النحت البارز فإنها إما أن تنحت بشكل مباشر على سطح الإناء الذي يكون سميكا نوعاً ما في هذه الحالة، أو تنحت بشكل منفصل وتضاف على سطح الإناء الخارجي.

الرسوم الجدارية:

ظهر الرسم كفن مستقل لأول مرة في هذا العصر، واستخدم بشكل جداريات لتزيين واجهات المعابد. ولسوء الحظ تم العثور على رسم جداري واحد فقط من هذا العصر. وقد كان

يزين واجهة أحد المعابد في مستوطن العقير (قرب بابل). ويتميز هذا الرسم الجداري بتقنية بسيطة في إعداد الأرضية لتهيئتها للرسم. فقد طليت واجهة المعبد بملاط من الطين لتشكل خلفية مناسبة ترسم عليها وحدات المشهد. يمثل المشهد زوجا من الفهود جلسا متقابلين بوضع تهيج مرعب على جانبي بوابة المعبد، وقد كلفا بحراستها لما يتميزا به من قوة كبيرة وشراسة هائلة.

نفذ المشهد بأسلوب واقعي رائع الجمال، فأشكال الفهود ذات الأجسام المرقطة كانت مطابقة تماماً لأشكالها الطبيعية، وقد رسمت الأشكال بخطوط جميلة مرنة وشجاعة. واستخدم الرسام لتنفيذ المشهد لونين هما الأسود والأبيض، فقد حدد الخطوط الخارجية باللون الأسود، وملئت مساحة الأجسام باللون الأبيض، وقام بتنقيطها باللون الأسود لتقريبها من أشكالها الحقيقية في الطبيعة.

وهكذا وضع العراقيون القدماء في هذا العصر الأسس الأولى للفنون التشكيلية. وعلى الرغم من جهلنا بطبيعة نظام الحكم واسماء الحكام بسبب عدم نضج الكتابة، إلا أنه ومن خلال ملاحظتنا لنشاطات الإنسان الفنية في هذا العصر، يمكننا القول عنها بأنها كانت متأثرة بالديانة، فأقدم تماثيل النحت المجسم كانت تمثل تماثيل متعبدين، وأقدم المنحوتات البارزة كانت مواضيعها تصور فعاليات طقوسية خاصة. وأقدم الرسومات كرست مشاهدها لحراسة بوابات المعابد.

ومن الأمور المهمة التي تجدر الإشارة إليها، هي التشابهات المهمة في بعض النتاجات الفنية في العراق في العصر الشبيه بالتاريخي ومصر في عهد السلالتين الأولى والثانية (3100 ق. م). ومثل هذه التشابهات تشير إلى تأثيرات فنية أكثر من كونها ابتكارات خاصة نشأت بشكل منفصل في كل منهما، فمثل هذا الأمر يكون محتملاً جدا إذا عرفنا أن العراقيين القدماء من أناس في العصر نشروا تأثيرات حضارية وفنية مهمة في مناطق شمال سوريا وجهات بعيدة أخرى. فالحيوانات الأسطورية المتصارعة ذات الرقاب الطويلة في مشاهد الأختام الاسطوانية من هذا العصر، قد ظهرت كذلك في مشهد منحوتة بارزة في مصر من نفس الفترة تسمى بصلابة الملك نارمر والرجل الذي يصارع الأسود. بغطاء راسه قد ظهر كذلك في منحوتة مصرية تسمى بمشهد سكني جبل العرق أو الأرك. ونظام الطلعات والدخلات التي تزين الجدران الخارجية في

المعابد العراقية من هذا العصر، وقد استعملت كذلك في الجدران الخارجية لمصاطب دفن الموتى المصرية من نفس الفترة.

وإذا كان لابد من التفكير بتأثيرات فنية بين العراق ومصر في هذه الفترة، فالأرجح أنها نشأت عن طريق الاحتكاك الحضاري أياً كان نوعه أو واسطته أو طريقته. ونظراً لكون المواضيع التي ذكرناها كانت طارئة على الفن المصري القديم، ومترسخة في الفن العراقي القديم، إذ أنها استمرت بعد هذا العصر عند السومريين، لذلك اجمع مؤرخو الفن القديم أن مثل هذه التأثيرات كانت عراقية المنشأ. وقد أخذتها مصر من العراق في عهد السلالتين الأولى والثانية (العهد الثيني).